التشبيه في الشاهد القرآني
عند الشريف المرتضى (ت ٤٣٦هـ)
(كتاب الأمالي مثالاً)

أ.د.مسلم مالك الأسدي
كلية العلوم الإسلامية / جامعة كربلاء

muslem.malik@uokerbala.edu.iq

الباحثة : نرجس بشير فليح
كلية العلوم الإسلامية / جامعة كربلاء

basheernarjes@gmail.com

الملخص

ان أسلوب التشبيه هو أحد أنماط التعبير البياني التي تستخدم لتوضيح معنى او لتصوير أحساس، وهو بوصفه ضرباً من التشكيل اللغوي للألفاظ لطريقة اختيار المفردات المكونة له أثر أداء الوظيفة وقد تتوقف قيمته البلاغية على نوع الوظيفة التي يؤديها أساساً كما تتوقف على طبيعة تشكيل في ذاته، وقد رأينا تنوع الصيغ التشبيهية ولاحظنا ميل التعابير القرآنية إلى تقريب الأشياء المعنوية من الحس والفهم والخيال البشري عن طريق الصور المادية.

الكلمات المفتاحية : التشبيه في اللغة، التشبيه في الاصطلاح، نماذج من الشواهد القرآنية في التشبيه.

“Simile in Quranic References according to Al-Sharif Al-Murtada (d. 436 AH) (Using the Book of Amali as an Example)

Dr. Muslim Malik Al-Asadi

University of Karbala / College of Islamic Sciences / Department of Arabic Language

muslem.malik@uokerbala.edu.iq

Researcher. Narjes Bashir Fleyeh

University of Karbala / College of Islamic Sciences / Department of Arabic Language”

basheernarjes@gmail.com

Abstract

As for the value of the rhetorical analogy، the simile is one of the patterns of graphic expression that is used to clarify a meaning or depict a feeling، and it is as a form of linguistic formation of words. The same، and we have seen the diversity of simile formulas and noted the tendency of the Qur’anic language to bring intangible things closer to sense، understanding and human imagination through physical images.

Keywords: Simile in Language, Simile in Terminology, Examples of Quranic Similes

المقدمة

يعد القرآن الكريم الأنموذج الأمثل، في إصدار علم البيان بشتى ألوانه وله أساليبه المتنوعة في التعبير بالصورة البلاغية المتخيلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية، وعن المشهد المنظور المؤثر بالطبيعة البشرية المختلفة، ومن تلك الأساليب أسلوب التشبيه في القرآن الكريم، وذلك الأسلوب الذي أستعمله الخالق عز وجل في إطار التوضيح وتقريب الصورة المستوحاة من الشاهد القرآني لدى المتلقي مرةً لترغيبه ومرة لترهيبه، وهـذان يشكلان جـزءاً لا يتجزأ من منظومة القرآن الكريم بوصفه كتاب هداية وإصلاح في غاية الروعة من حيث جمال الألفاظ، وتنوع مستويات التعبير، وتعدد التراكيب والصور المتنوعة وغيرها من الأمور.

فيعد التشبيه من الفنون البيانية التي تستخدم لتوضح معنى أو تصوير أحساس مجهول لدى المتلقي والمخاطب وتضفي على النص رونقاً وجمالاً وتؤدي إلى إنتاج معانٍ تلقى على السامع وتشد أنتباه وتوضح له المقصدية من استعمال هذا الفن.

وقد وقع الاختيار على هذه الدراسة بعد البحث في القرآن الكريم، فوجدنا آيات كثيرة تغطي هذه الدراسة بجميع جوانبها وأن هذه الدراسة لم يكتب فيها بحث علمي بحسب ما استقصيتُ أثر البلاغة في الكشف عن التشبيه في القرآن الكريم عند المرتضى في كتاب الأمالي مثالاً.

ومن هنا فأهمية الموضوع تكمن بالبحث في القرآن الكريم أشرف كتاب على وجه الأرض المتفرد في تقديم المعنى البليغ، والتأثير في المتلقي تأثيراً واضحاً وذلك؛ لأن موضوع التشبه في القرآن الكريم من أظهر الموضوعات التي كثر ورودها في القرآن الكريم؛ لأن التشبيه يستعمل لتوضيح معنى كان مجهولًا لدى المتلقي والمخاطب، فالتشبيه لفتَ انتباه المتلقي لجماليته الخلابة المتواجدة في النص القرآني والتي أسهمت في رصد الصورة المستوحاة من الشاهد القرآني

وقد اقتضت طبيعة الدراسة وانتظمت على تمهيد وثلاثة مباحث سبقت بكلمات دالة بمقدمة وملخص باللغتين العربية والانجليزية وانتهت بخاتمة وبعدها قائمة للهوامش وقائمة للمصادر والمراجع، وقد تضمن التمهيد التشبيه المفهوم والمصطلح، جاء المبحث الأول بعنوان التشبيه البليغ، وتضمن المبحث الثاني التشبيه التمثيلي، أما المبحث الثالث فتحدث عن التشبيه المرسل المجمل.

أما ما يخص منهج البحث فقد وجدت، الباحثة من المناسب اعتماد الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وإفادت الدراسة من دراسات سبقتها أهمها، التشبيهات القرآنية وأثرها في التفسير من أول سورة يونس إلى آخر سـورة العنكبوت، رسالة ماجستير، أحمـد بن سـالم الشهري، والبعد الترابطي في القـرآن الكريم دراسة تفسيرية أطروحة دكتوراه، د. إقبال وافي نجم، والبناءات الجمالية في النص القرآني، رسالة ماجستير، رائد مصباح الداية، جامعة غزة،٢٠١١.

وقد اعتمدت الدراسة على عدد من المصادر والمراجع، (كتب التفسير، ومنها الكشاف للزمخشري، ، التبيان في تفسير القرآن للطوسي، وجامع البيان للطبري، التحرير والتنوير لأبن عاشور، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل للشيرازي، وغيرها)،(وكتب البلاغة، ومنها جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، شرح التلخيص في علوم البلاغة للقزويني، والصناعتين لأبي الهلال العسكري، أسرار البلاغة للجرجاني، والعمدة في محاسن الشعر وآدابه للقيرواني، والبرهان في وجوه البيان أسحاق بن إبراهيم بن وهب، وغيرها).

التمهيد

التشبيه في اللغة والاصطلاح:

١- التشبيه في اللغة:

جاء في لسان العرب :(الشِّبه والشَّبه والشَّبيه: المِثْلُ، وأشبهَ الشيءُ الشيءَ: ماثَلَهُ، ويُقال: شبهت هذا بهذا، وأشبه فلان فلاناً. والشبه و الشبه : النحاس يصبغ فيصفر، وسمي النحاس به؛ لأنه اذا فعل به أشبه الذهب بلونه، والتشبيه مصدرٌ من شبه)(ابن منظور،١٤١٤هـ: ٥٠٣-٥٠٤-٥٠٥).

٢- التشبيه في الاصطلاح:

يعرف التشبيه بأنه (صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته، لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه)(القيرواني،١٩٧٢م،ج١: ٢٨٦)، أو هو (الدلالة على مشاركة أمر لأمر آخر في معنى من المعاني)(القزويني،١٩٧٠م: ١٢٥) والتشبيه لون من ألوان التعبير الإنساني الذي عرفته الأمم جميعاً، وأمتاز في البيان العربي بأنه بداية لكثير من الألوان البلاغية ذات الصيغة الفنية (حمدي، ٢٠٠١م، ص٩٥)، ولذلك فقد افتتن العرب به، وغالى نقادهم في وصفه وفي الإعجاب بمكانته (لما يمتلكه من روعة وجمال، وموقع حسن، ولقدرته على إخراج الخفي من الجلي، وإدنائه البعيد من القريب، ولزيادة المعاني رفعة ووضوحاً وإكسابها جمالاً وفضلاً) (الهاشمي: ٢٧٤) فهو محاولة إبلاغيه جادة تستعمل لصقل الشكل، وتطوير اللفظ، وتقريب المعنى من الذهن، وتجسيده حيا، ومن ثم فهو ينقل اللفظ من صورة إلى صورة أقرب على النحو الذي يريده المصور، فأن أرادة صورة متناهية في الجمال والأناقة شبه الشيء بما هو أرجح منه حسنا، وأن أرادة صورة متداعية في القبح والتفاهة شبه الشيء بما هو أكثر رداءة منه صفة (الصغير،١٩٩٩م: ٦٣-٦٤).

التشبيه من أصول التصوير البياني، ومصادر التعبير الفني، ففيه تتكامل الصورة، وتتدافع المشاهد وللتشبيهات القرآنية أثر مهم في كلام العرب، فأدارها الشعراء في قصائدهم واتخذها الكتاب أساساً لتصويرهم، وكانت أيضاً عمدة البلاغين في ضرب الأمثلة والموازنة بين فنون البيان المختلفة وكان أداة صالحة للتدليل على إعجاز القرآن وبلاغته في معالم عديدة، حتى لم يخل منه كتاب ولم ينب عنه باب (مطلوب،١٩٧٥م : ٢٧).

المبحث الأول

التشبيه البليغ

يعرف التشبيه البليغ بأنه التشبيه الذي تحذف منه الأداة ووجه الشبه، وليس المراد من البليغ هنا ما يطابق مقتضى الحال، أو يشتمل على الحسن والطرافة والبراعة، حتى يخيّل أن التشبيه إذا ذكر فيه الأداة ووجه الشبه لا يكون مطابقاً لمقتضى الحال، ولا يتضمن الجد والبراعة؛ لأن يكون ذكر الأداة أبلغ من حذفها بل المراد بالبليغ هو ما ذكر فيه المشبه والمشبه به مع حذف الأداة ووجه الشبيه والغرض منه التشدد والتأكيد في تقريب المشبه من المشبه به؛ لأن حذف الأداة يوهم بتساوي الطرفين في القوة وعدم تفاضلهما، وحذف الوجه يوحي بأنهما متشابهان في كل صفاتهما المناسبة ويفسح الخيال لتصور الصفات (الحسيني،١٤٣٠م : ٢٥٩).

وكـان للتشبيه حضوراً واضحاً في ثنايا الشاهد القرآني ومثل قوله تعالى﴿**صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ**﴾(سورة البقرة: اية ١٨)، قد ورد التشبه في قوله تعالى أعلاه﴿**صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ**﴾ (صُمّ)هنا بمعنى أي هم لا يسمعون خبراً (بُكْم)أي هم خرس لا يتكلمون بما ينفهم (عُمْيٌ) أي هم كالعمي لا يبصرون الهدى ولا يتبعون سبيله(الصابوني، ١٩٨١م، ج١: ٥٨)، هنا جاء التشبيه بليغاً في عدم الاستفادة من هذه الحواس، فقد حذفت الأداة التشبيه ووجه الشبه فأصبح بليغًا، وهذه الآية تدل على أن المعنى ليس الآفة في الإذن، والعين، والجوارح، بل إنهم لا يسمعون عن قدرة، ولا يتدبرون ما يسمعون، ولا يعتبرون بما يرون، بل هم عن ذلك غافلون (المرتضى،١٣٨٤هـ،ج٢: ٩٩٢)، ومجيء هذا التشبيه بليغاً؛ لأنهم اشبهوا في انعدام أثار الإحساس منهم بالصم والبكم والعمي، أي كل واحد منهم أصبحت له الصفات الثلاث المذكورة، فالصم انعدام إحساس السمع عمن شأنه أن يكون سمعياً، والبكم انعدام النطق عمن شأنه أن يكون ناطقاً، وكذلك العمي البصر عمن شأنه أن يكون بصيراً(ابن عاشور، ١٩٨٤م،ج١: ٥٨) ومعنى هذا كله أنهم صم بكم عمي، عن الهداية والإيمان وطريق الحق فأنهم لا يروا شيئاً من هذه الأمور بل عمت قلوبهم وصمت أذانهم وابكمت أفواههم عن الحق واخلوا طريقة فهم لا يرجعون، أي باقين على حالتهم هذه، وفي تأويل آخر في الآية ذاتها من قوله تعالى ﴿**صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ**﴾ فمعنى (صُمٌّ) أي لا يسمعون الحق(بُكْمٌ) أي لا ينطقون به (عُمْيٌ) لا يبصرون لا يرجعون عن ضلالتهم، وأصل العمى :هو ذهاب الإدراك بالعين والعمى في القلب كالعمي في العين بآفة يمنع من الفهم وأعماه :أي وإذا وجد في عينه عمى، ومعنى(صُمٌّ):أي أنهم صم عن الحق لا يعرفونه، لأنهم كانوا يسمعون بآذانهم، وبكم :أي هم بكم عن الحق لا ينطقون مع ذلك ألسنتهم صحيحة، عمي لا يعرفون الحق وأعينهم

صحيحة، كما في قوله تعالى ﴿**وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون**﴾(الطوسي، د.ت، ج١: ٨٩).

ويرد التشبيه في قوله تعالى ﴿**وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا**﴾(سورة البقرة: ٧٤).

ويرى المرتضى في تأويل هذه الآية، أنه تعالى لم يرد من الفضة قوارير على الحقيقة، وإنما وصفها بذلك؛ لأنه أجتمع لها صفاء القوارير وشفوفها، ورقتها مع أنها من فضة، وقد تشبه العرب الشيء بغيره في بعض وجوهه، فيشبهون المرأة بالظبية والبقرة، ونحن نعلم أن في الظباء والبقر من صفات مالا يُستحسن أن يكون في النساء، وإنما وقع التشبيه في صفة دون صفة، ومن وجه دون وجه (المرتضى،١٣٨٤هـ،ج٢: ٥٩)، فالتشبيه هنا جاء بليغًا؛ لأنه حذف حرف التشبيه ووجه الشبه مع ذكر المشبه في قوله﴿**وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ**﴾، والمشبه به في قوله ﴿**بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا**﴾، وقيل يدار الخدم بالأواني الفضية فيها الطعام والشراب على عادة أهل الترف والنعيم في الدنيا فيتناول كل واحد منهم حاجته، وهذه الأواني هي الصحاف بعضها فضة وبعضها من ذهب، أما قوله ﴿**وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا**﴾ أي وأكواب – وهي الأقداح – رقيقة شفافة كالزجاج في صفائه، ومعنى)كَانَتْ(أي أوجدها الله بقدرته وهنا تفخيم لتلك الخلقة العجيبة الشأن، الجامعة لبن البياض الفضة ونصوعها، وشفاف القوارير وصفاتها (الطوسي، د.ت،ج١: ٣١١).

وقوله تعالى ﴿**قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ**﴾،أي: هي جامعة بين صفاء الزجاج، وحسن الفضة فالله سبحانه وتعالى أراد أن يوضح الصورة للقارئ، بأن القوارير الموجودة في الجنة، أو الأشياء بصورة عامة هي أفضل وأشرف مما هي عليه في الدنيا، فيعطي مثلاً إنه لو أخذت فضة من فضة الدنيا وضربتها حتى جعلتها مثل جناح الذباب، ثم يرى الماء من ورائها، ولكن قوارير الجنة تكون ببياض الفضة وصفائها. وإنها كالقوارير في صفائها ورونقها وشفيفها ورفيفها، وهي من فضة (الطبري،٢٠٠٤م،ج١٣٠:٢).

المبحث الثاني

التشبيه التمثيلي

هو هيئة مأخوذة من متعدد سواء أكان الطرفان مفردين أو مركبين، أو كان أحدهما مفرداً والآخر مركباً، وسواء أكان ذلك الوصف منتزعاً حسياً أو عقلياً أو اعتباريا وهمياً (الحسيني،١٤٣٠هـ: ٣٣٠).

ويرد أسلوب التشبيه في آية أخرى أقتبسها الشريف المرتضى من قوله تعالى﴿**أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ**﴾ (سورة النور: ٤٠)، (ويرى صاحب الأمالي في تأويل هذه الآية قائلاً : كأن بعض هذه الظلمات يحول بين العين، وبين النظر إلى اليد آو سائر المناظر...) (المرتضى،١٣٨٤هـ،ج١: ٣٣١).

وفي هذه الآية جاء التشبيه المركب مادة فنية خصبة

تسيقها أفهام القوم فالبدوي الذي يتطلب الماء، فإن أخفق في تحصيله أخفق في حياته وعـاد يائساً ومثال للسراب الذي يظنه الظمآن ماء يروي غلته فتفاجئ به عند اقترابه منه ويخيب ذلك الظن ويفقد الأمل، وإذا به يذهل لفقدان الماء ووجدان الله بالمرصاد، وهي مفاجأة أخرى ليست في الحساب، وحينما يخفق من هذا الالتماع الخلاب في السراب الذي حسبه ماء تصدمه الظلمات المتراكمة في بحر شديد الأمـواج والمتراكمة يعلوها سحاب، فوقه سحاب وموج فوقه موج فهو في الظلمات يفقد بها حاستي البصر والسمع.(الصغير، ١٩٩٩م: ٨٤)، وهذا مثل آخر ضربه الله تعالى لأعمال الكفار ومعنى قوله تعالى ذكره ومثل أعمال هؤلاء في أنها، مثل ظلمات في بحر لُجي ونسب البحر إلى اللجة وصفاً له أنه عميقٌ كثير الماء شديد الظلمة، كأنها أعمالهم التي يحسبونها على شيءٍ وأنها مقبولة ولكنها عكس ذلك مثلهم كمثل الظلمات المتواجدة في البحر اللُجي ليس لها فائدة (الطبري،٢٠٠٤م،ج٥: ٧٥).

وقد أحتوى التشبيه التمثيلي على أهم عناصر الصورة الفنية، وأكثرها غنى وهو عنصر الحركة والحركة من أهم مزايا التشبيه عامةً وهي (من بديع التشبيهات وجليلها) لأن التقاطها وهـي جـادة في حركتها، واضطرابها دليل المقدرة والوعي وقـوة الملاحظة ثم تصويرها وهي تتحرك، أعني المحافظة على هذه الحركة الحية الباعثة للنفس التي تنفي عنها ملل الجمود (المرتضى، ١٣٨٤هـــ، ج١: ٢٢١)، فجاء التشبيه التمثيلي هنا فشبه أعـمال هـؤلاء الكفار بالظلمات، تعني الظلمة الشديدة المتواجدة في البحر لجي أي البحر العميق، فتشبيه الأشياء المعقولة بالأشياء المحسوسة أعطى للتشبيه صورة واضحة وأضفى عليها رونقاً خاصاً شدت انتباه المتلقي على وضوح الصورة التشبيهية في الشاهد القرآني، ومثالهُ أيضاً قوله تعالى ﴿**وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ**﴾(البقرة : ١٧١).

ويرى صاحب الامالي في تأويل هذه الآية المباركة وجوهاً عدة منها: أن يكون المعنى : مثل واعظ الذين كفروا والداعي لهم إلى الايمان والطاعة كمثل الراعي الذي ينفق بالغنم وهي لا تعقل معنى دعائه، وإنما تسمعُ صوته ولا تفهم غرضه، والذين كفروا بهذه الصفة لأنهم يسمعون وعظ النبي ﷺ ودعـاءه وإنـذاره فينصرفون عن قبول ذلك، ويعرفون عن تأمله، فيكونون بمنزله من لم يعقلْه ولم يفهمه لاشتراكهما في عدم الانتفاع به (المرتضى،١٣٨٤هـ، ج١: ٢٢١). فشبه الذين كفروا كمثل الغنم التي لا تفهم نداء الناعق.

أو في قول أخر، أي ومثل الكفار وفي عدم انتفاعهم بالقرآن وحججهُ الساطعة، ومثل من يدعوهم الى الهدى كمثل الراعي الذي يصيح بغنمه ويزجرها فهي تسمع الصوت والنداء دون أن تفهم الكلام والمراد، وتدرك المعنى الذي يقال لها، فهؤلاء الكفار كالدواب السارحة لا يفهمون ما تدعوهم إليه ولا يفقهون، ويسمعون القرآن ووعظ النبي ﷺ ولا ينصتوا إليه

فينصرفوا عن ذلك (الصابوني،١٩٨١،ج١: ١١٤)، فالتشبيه أو التشبيهات القرآنية أثرت وأعطت وأضفت للتشبيه صوراً جمالية تكسو المعنى المراد رونقاً وجمالاً فيكون لها وقعة في النفوس أبلغ وتأثيره في القلوب أكبر(الشهري،٢٠٠٩م: ٦٤).

وأيضاً ترك التشبيه التأثير النفسي الواضح، وطبع صورة وفكرة في وجدان المتلقي ورسمها بإشكال وألوان، أعطت قوة الشعور ويقظة الضمير واتساع الرؤية والوضوح في تلك الصورة مما جعل المتلقي اكثر استيعابا وفهما، لتلك الصور التي رسمتها الآيات القرآنية في مخيلته أو ذهنه (غلوش، ١٩٧٨م:٩٠).

المبحث الثالث

التشبيه المرسل المجمل

وهو ما ذكرت فيه الأداة، وحذف وجه الشبه.

ومثاله ما ورد من قوله تعالى ﴿**ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً**﴾(البقرة:٧٤)، أي بعضهم كالحجارة وبعضهم أشد قسوة من الحجارة كأنها حديد، فجاء المشبه في قوله ﴿**قُلُوبُكُمْ**﴾، والأداة التشبيه الحرف (الكاف) والمشبه به الحجارة نوع التشبيه مرسل مجمل؛ لأن أداة مذكورة والمشبه و المشبه به وحذف وجه الشبه، ووجه الشبه هو القساوة والصلابة هكذا كانت قلوبهم أي قلوب بني إسرائيل، فقد شبهت هكذا؛ لأنها لم تستجب لدعوة موسى عليه السلام ولم تتأثر بمواعظه، كأنها حجارةً صماءٌ وكان التشابه بينهما هو عدم الاستجابة للمؤثرات في كل منهما، وقد شبهت قلوبهم في نبوذها عن الحق وتجافيها مع أحكامه بالحجارة القاسية، ثم ترقى في التشبيه، فجعل الحجارة أكثر ليناً من قلوبهم، وعلى هذا فيكون معنى الآية كما يرى الشريف المرتضى، أن قلوب هؤلاء قاسية متجافية عن الرشد والخير، فإن شبهتم قسوتها بالحجارة أصبتم، وإن شبهتموها بما هو أشد منها أصبتم، وإن شبهتموها بالجميع فهي كذلك، والغرض فيها أن يخبر الله تعالى عن شدة قسوة قلوبهم، وأنها مما لا تنثني لوعظ، ولا تُصغي إلى حق، فسواء كانت في القسوة كالحجارة أو أشد منها، فقد تم ما أجرى إليه من الغرض في وصفها وذمها(المرتضى،١٣٨٤هـ، ج٢: ٥٤) فتبارك وتعالى لما أخبر عن بني إسرائيل وما أنعم عليهم به، وأراهم من الآيات، وغير ذلك، فقال مخبراً عن عصيانهم، وطغيانهم ﴿**ثم قست قلوبهم**.....﴾ ثم أخبر تعالى أنه لا امتناع عند الحجارة مما يحدث فيها من أمره، وإن كانت قاسية، بل هي متصرفة على مراده لا يعدم شيء مما قدر فيها، وبنو إسرائيل مع كثرة نعمه عليهم وكثرة ما أراهم من الآيات يمتنعون من طاعته، ولا تلين قلوبهم لمعرفة حقه بل تقسو وتمتنع من ذلك، ومعنى كل هذا أن من الحجارة ما هو أنفع من قلوبهم القاسية، فالحجار يتفجر منها أنهارُ، وأن منها لما يهبط من خشية الله، أفضل من قلوبهم الشديدة التي لا تلين أبداً وأن زدناهم من

النعمة والخيرات أكثر مما يتوقعون فهي باقية كالحجارة لا تخضع لخشية الله (الطوسي، ٥٤٦هـ،ج١: ٣١١).

وفي تفسير آخر في الآية ذاتها ومعناها ثم صلبت قلوبكم بعد إذ رأيتم الحق فتبينتموه وعرفتموه عن الاخضاع له والاذعان الواجب حق الله عليكم، فقلوبكم كالحجارة صلابة ويبساً، غلظة وشدة أو أشد صلابة - يعني قلوبكم عن الاذعان لواجب حق الله عليهم، والإقرار له باللازم من حقوقه لهم من الحجارة، فقلوبهم لا تخرج من أحد المثلين، أما أن تكون مثلاً للحجارة في القسوة، وبعضها أشد قسوة من الحجارة (،الطبري، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٤م، ج٢، ص١٣٠)، وقد يرى بعضهم أن معنى قوله تعالى ﴿**ثم قست قلوبكم من بعد ذلك...**﴾، أي أنها أشد قسوة من الحجارة؛ لأن بعض الحجارة تنفجر منها الأنهار أو تنبع منها الحياة أو تسقط، لكن قلوب بني إسرائيل أشد قسوة من الحجارة، فلا تنفجر منها عاطفة ولا علم ولا تنبع منها قطرة حب، ولا تخفق من خوف آلله، وبعد هذه الآيات البينات، لم تلن قلوب بني إسرائيل، بل بقيت على قسوتها وغلظتها وجفافها...(الشيرازي،١٣٨٤-١٤٢٦هـ، ج١: ٢٢٢).

أن التطلع الواعي لتشبيه لهذا الآية يعني اضطراب النفس في هذا المصير المؤلم لهذا الجزء الشفاف والرقيق من البدن وهو القلب، وليس المراد هذا العضو الصنبوري بمركباته العضوية، بل المراد هو هذا العضو بما ضمّ بين جانبيه من مخاييل الرحمة والرقة والهدى والإيمان، وما يستلزم ذلك من الهداية والرشاد والاطمئنان، وبهذا التشبيه تحقق نفي هذه المستلزمات جميعاً عن القلب، فعاد حجارة لا تضر ولا تنفع، صماء لا تستهدي ولا تستشير (الصغير،١٩٩٩م: ٨٤)، وكل هذا لزيادة المشهد التصويري وبناء منظر سينمائي يشد المتلقي ويجعله يرسم بالكلمات فضاء مسرحياً آخاذاً.

ويرد التشبيه في قوله تعالى ﴿**ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ**﴾ (فصلت: ١١)، فهنا شبه السماء في أول حدوثها بالدخان من حيث إنها أجزاء متفرقة غير متواصلة عديمة النور، فإنه ليس له صورة تحفظ بتركيبه، وحمله على التشبيه لتعذر أن يكون المراد حقيقة الدخان، وهو ما ارتفع من لهب والنار أو البخار المرتفع من الماء (الحسيني، ١٤٣٠ هـ : ٢٦١)، والأمر من الأعجاز العلمي الذي ما انفك علمنا الحديث على كنفه وبيان أسسه والتي في الغالب مظانها تعود إلى ما ذكر في كتابنا الكريم، يقول ابن كثير في تفسير قوله تعالى أعلاه، أي أنه عند خلقها وقصد إلى تسويتها وهي بهيأة دخان، وقيل: إن المراد بالدخان بخار الماء المتصاعد حيث خلقت الأرض. (ابن كثير،١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، ج٣: ٢٥٧)، وفي قوله تعالى﴿**فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ**﴾أي استجيبا لأمري طائعتين أو مكرهتين ﴿ **قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ**﴾ أي قالت السموات أتينا أمرك طائعين، ويقول الزمخشري على هذا التمثيل أي إنه تعالى أراد تكوينها فلم يمتنعا عليه، وكانتا في ذلك كالمأمور

المطيع إذا ورد عليه أمر المطاع، والغرض من ذلك تصوير أثر قدرته على المقدورات من غير أن يكون هناك خطاب وجواب (الزمخشري، ١٤٠٧هـ،ج٤: ١٤٨).

لقد أحدث القرآن توازناً بين رغبات النفس وحاجات الجسم ومتطلبات الروح، كما تضمنت سورة جمالات لا حصر لها في الأسلوب والنظم والتأليف والصورة، وأنظمة الحياة المختلفة (الداية،٢٠١١م: ٣)، وقد وظف التشبيه توظيفاً فنياً، حقق غاية الإقناع والتأثير والوعظ عبر الاستناد على مزيات التشبيه المتنوعة (نجم،٢٠١٥م :٩٥)، لقد كانت وظيفة التشبيه في البلاغة كوظيفة القياس في الفقه والمقارنة بين الأشياء من أجل البيان والظهور وكذلك لتوكيد المعنى في النفس، وسرَّ البلاغة في التشبيه يهدف إلى الانتقال بالمخاطب من المعقول إلى المحسوس مما يجعل منه قياساً يلحق فيه المجهول الغائب بالمعلوم الشاهد عن طريق وجه الشبه بينهما.

الخاتمة

١-التشبيه هو أحد اركان علم البيان ويتكون من المشبه والمشبه به وأداة التشبيه ووجه الشبه.

٢-كانت وظيفته لا تتجاوز كونه وسيلة لتعريف المخاطب أو القارئ بشيء مجهول.

٣-إن قيمته تكون محدودة بحدود الحاجة العلمية والمنفعة المباشرة تتمثل في مجرد الإفهام والتوصيل بين المتلقي والمتكلم، وذلك بقياس ما هو مجهول عند القارئ أو المخاطب على ما هو معلوم بينهما.

٤-سر البلاغة فيه تهدف إلى الانتقال بالمخاطب من المعقول إلى المحسوس مما يجعل منه قياساً يلحق فيه المجهول الغائب بالمعلوم الشاهد عن طريق وجه الشبه بينهما.

٥-للتشبيه أثر نفسي واضح تركهُ في صورة فكر ووجدان المتلقي ورسمهُ بأشكال وألوان تعطي للمتلقي استيعابا وفهماً لتلك الصورة التي رسمها في مخيلة المتلقي وذهنه.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١-ابن عاشور، الشيخ محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس -١٩٨٤م.

٢-إبن كثير الدمشقي، للإمام الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤ه)، تفسير القرآن العظيم، إعداد : إبراهيم شمس الدين، ط١، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت -لبنان، ١٤٢٠- ١٩٩٩م.

٣-الحسيني، السيد جعفر السيد باقر، أساليب البيان في القرآن، كتاب، ط١، مؤسسة بوستان، ١٤٣٠ه.

٤-حمدي، محمد بركات أبو علي، البلاغة العربية في ضوء الاسلوبية ونظرية السياق، ط١، دار وائل للنشر، عمان- الأردن، ٢٠٠١م.

٥-الداية، رائد مصباح، البناءات الجمالية في النص القرآني، رسالة ماجستير، مطبوعة بالآلة الكاتبة، جامعة غزة، ٢٠١١م.

٦- الزمخشري، العلامة جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (٥٣٨ه)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، (د.ط)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧ه.

٧- الشهري، أحمد بن سالم، التشبيهات القرآنية وأثرها في التفسير من أول سورة يونس إلى آخر سورة العنكبوت، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٩م.

٨-الشيرازي، الشيخ ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ط١، مطبعة سليمان زاده، مدرسة الامام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، إيران -قم، ١٣٨٤ه-١٤٢٦.

٩-الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، ط٤، دار القرآن الكريم، بيروت، ١٩٨١م.

١٠-الصغير، محمد حسين علي، أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم، ط١، دار المؤرخ العربي بيروت، ١٩٩٩م.

١١-الطبري لأبي جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ه)، جامع البيان عن تأويل آي من القرآن، تح : عبدالله بن عبد المحسن التركي، ط١، مركز البحوث للدراسات العربية والإسلامية بدار هجر- القاهرة، ١٤٢٢ه -٢٠٠٤م.

١٢-الطوسي، شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن (ت٤٦٠ه)، التبيان في تفسير القرآن، تح: أحمد حبيب قصير العاملي، ط١، دار أحياء التراث العربي، ١٤٠٩ه

١٣- غلوش، أحمد، الدعوة الإسلامية، دار الكتاب المصري -اللبناني، ١٩٧٨م.

١٤-القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن، شرح التلخيص في علوم البلاغة، شرحه وخرجه شواهده : محمد هاشم، ط١، دار الحكمة، دمشق، ١٩٧٠م.

١٥-المرتضى، علي بن الحسين الموسوي العلوي (ت٣٥٥ -٤٣٦ه)،أمالي المرتضى، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، مكتبة ذوي القربي قم المقدسة، ١٣٨٤.

١٦-مطلوب، أحمد، فنون بلاغية (البيان - البديع)، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٩٧٥م.

١٧-نجم، أقبال وافي البعد الترابطي في القرآن الكريم، دراسة تفسيرية، ط١، العتبة الحسينية، دار القرآن الكريم، شبعة البحوث والدراسات القرآنية، أطروحة دكتوراه، مطبوعة بالآلة الكاتبة، العراق، كربلاء،٢٠١٥.

١٨-الهاشمي ، أحمد، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ط١، الناشر : اسماعيليان، (د.ت).